﴿۞مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾ [هود: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ضـــربُ المـثـالِ يُقرّبُ الصّورةَ، ويَصفُ الحالَ، ويُغْني عن كثيرِ المَقالِ

لَمَّا بيّن اللّه سُبحانه حالَ الفريقَين: المؤمنِ والكافرِ، وجزاءَهما في الآخرة، ضربَ سُبحانه المثلَ المبيِّن لحال كلِّ فريقٍ منهما؛ وهو تشبيهُ الفريقِ الكافرِ بالأعمَى والأصمِّ؛ حيث إنّهم عَمُوا عنِ الحقّ وأصَمُّوا آذانَهم عن سماع دعوتِه، وتشبيهُ الفريقِ المؤمنِ بالبصيرِ والسّميع؛ حيث إنّهم أبصَروا الحُجَجَ، وأقرّوا بواحديّة اللّه، وسمِعوا داعيَ اللّه؛ فأجابوا دعوتَه، وعمِلوا بمقتضى هذه الاستجابةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَثَلُ﴾: المِثْلُ والمَثَل والمثيلُ: الشِّبْهُ، تقول: هذا مِثْله ومَثَلُه ومثيلُه، كما تقول: هذا شِبْهُه وشَبَهه وشبيهُه[2]. وأصلُه يدورُ حول مناظرةِ الشَّيءِ للشَّيءِ، ومشابهتِه له[3]. ومثلُ الشَّيءِ صفتُه والخبرُ عنه. وذلك نحوُ قولِه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾[4] [الرعد: 35]، والمَثَلُ أيضًا والمِثَالُ: "عبارةٌ عن قولٍ في شيءٍ يُشبِه قولًا في شيء آخرَ بينهما مشابهةٌ؛ ليبيِّن أحدُهما الآخرَ ويُصوِّرَه"[5]. ومِن هذا المعنى الأخيرِ الأمثالُ التي ضربَها اللّه في القرآن.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/376، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/335، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/138، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 10/464، والبقاعي، نظم الدّرر: 9/263، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/40.

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مثل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مثل).

(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مثل).

(5) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (مثل).

2) ﴿ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: الفَرْقُ: خلافُ الجمع. يقال: فرَقَه يفرُقه فرقًا، وفرَّقه: إذا فصلْتَ بين الشَّيئين[1]. ومعناه المِحوريُّ: التَّمييزُ والفصلُ بين شيئين[2]. والفِرْقُ، والفِرْقةُ، والفَريقُ: الطَّائفةُ منَ النَّاس، لكنَّ الفريقَ أكثرُ منَ الفِرْق والفِرْقة[3].

3) ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: العمَى: ذهابُ البصر كلِّه من كلتا العينَيْن، ولا يقال هذا فيمن ذهب بصرُ عينٍ واحدةٍ من عينيه، بلِ العينين معًا[4]. ومعناه المِحوريُّ: السَّتْرُ والتَّغطيةُ، واحتجابُ الرُّؤيةِ[5]. والعمَى أيضًا: ذهابُ نظرِ القلب. والموصوفُ بافتقاد البصرِ وافتقادِ البصيرةِ، يقال في كليْهما: أعمى، أما عَمٍ فيقال في افتقاد البصيرةِ فقط[6].

4) ﴿وَٱلۡأَصَمِّ﴾: الصَّمَمُ: انسدادُ الأُذُن، وثِقَلُ السَّمع أو ذهابُه بالكليَّة[7]. ومعناه المِحوريُّ: تضامُّ الشَّيء، وانسدادُه بزوالِ الخرقِ[8]. ويوصفُ بالصَّمَم أيضًا من لا يُصغي إلى الحقِّ، ولا يقبلُه[9]. والأصَمُّ من به صَمَمٌ، وجمعُه: صُمٌّ. ومنه قولُه تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: 171]. "جعلَهم كذلك بمنزلةِ من لا يسمعُ ولا يَنطقُ ولا يُبصرُ ولا يَعي لعدمِ وعْيِهم واعتبارِهم بما عايَنوه من قدرةِ اللّٰه"[10].

5) ﴿وَٱلۡبَصِيرِ﴾: البَصَرُ: العينُ، وكذلك حاسَّةُ الرؤيةِ والقوَّةُ التي تحصل بها الرّؤيةُ[11]. ومعناه المِحوريُّ: العلمُ بالشَّيء[12]. ومنه كذلك البَصَرُ بمعنى: نفاذٍ في القلب، وهو العلْمُ. ويقال لهذا المعنى بصيرةٌ أيضًا[13]. ويقال: بصُرت بالشَّيء، وتبصَّرْتُه، واستبصرْتُه:

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فرق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فرق).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فرق).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عمى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عمى).
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عمى).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (صمم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صمم).
(9) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (صمم).
(10) الزبيدي، تاج العروس: (صمم).
(11) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بصر).
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بصر).
(13) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بصر).

علمتُه، وصرتُ ذا بصيرةٍ فيه[1]، أمَّا في الرّؤية، فيقال: أبْصَرْتُ الشَّيءَ، أُبْصِره: رأيتُه. والبصيرُ: خلافُ الضَّرير. وكذلك في معنى البصيرة والعلم بالشَّيء، يقال لصاحبها: بصيرٌ[2]، ومِن "أسماءِ اللّه تعالى البصيرُ: هو الذي يشاهدُ الأشياءَ كلَّها ظاهرَها وخافيَها بغير جارحةٍ"[3].

6) ﴿وَٱلسَّمِيعُ﴾: السَّمْع: الأُذُن، وكذلك: قوَّةٌ في الأذن بها تُدركُ المسموعاتُ، وكذلك: ما وَقَر في الأُذُن من شيء تسمعُه. ويُطلَقُ السَّمْعُ أيضًا على مصدر سمِع يسمعُ، فهو سامعٌ[4]. والسَّميعُ: هو الموصوفُ بأيٍّ معنًى من هذه المعاني[5]. والسَّميعُ من أسماء اللّه ﷻ: وهو الذي وَسِع سمعُه كلَّ شيءٍ بغير جارحةٍ، فلا يعزُب عنه شيءٌ منَ المسموعاتِ وإن خفيَ[6]. ومعناه المِحوريُّ: إيناسُ الشَّيءِ بالأُذن[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يَستَوي مُؤمنٌ وكافرٌ كما لا يَستَوي أعمَى وبصيرٌ

مثلُ الفريقَين المذكورَين اللَّذين وُصفا سابقًا، وهما الكفَّارُ بالشَّقاء، والمؤمنون بالسَّعادة كمثلِ هذين الصِّنفَين منَ النَّاس، الأوَّلُ وهو الكافرُ الموصوفُ بالأعمى الَّذي لا يرى بعينِه شيئًا؛ لتَعاميهِ عن وجه الحقِّ في الدُّنيا والآخرة، وعدمِ اهتدائِه إليه، والموصوفُ كذلك بالأصمِّ الَّذي لا يسمعُ ما يُرشدُه إلى النَّجاة، والثَّاني وهو المؤمنُ الموصوفُ بالبصيرِ الذي يُبصرُ حُججَ اللّه ودلائلَ قُدرته ووَحدانيته فينتفعُ بها ويَهتَدي إليها، وبالسَّميعِ الَّذي يسمعُ ما ينتفعُ به، ويَهتَدي إليه، ويُبعدُه من

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بصر).
(2) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، وابن منظور، لسان العرب: (بصر).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (بصر).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سمع).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سمع).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سمع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سمع).

مواضعِ الهلاك؛ فهل يَستوي هذان الفريقانِ مع اختلافِ أمرَيْهما في الحال والمآلِ؟ أفلا تتفكَّرون أيُّها النَّاسُ فيما بين الباطل والحقِّ من خلافٍ فتَعتبروا به، وتَسيروا على الصِّراط المستقيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الاستئنافِ في ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾:

لمّا استوفى أوصافَ الحِزبَين وجَزاءَهما ضرَبَ للكلِّ مثَلًا

بعد أن تبيَّنَ الاختلافُ بين حال المُشركين المُفترين على الله كذبًا، وبين حالِ الذين آمنوا وعملوا الصّالحاتِ في منازل الآخرةِ؛ أعقبَ ببيانِ التّنظيرِ بين حالَي الفريقين المُشركين والمؤمنين بطريقةِ تمثيلِ ما تستحقُّه من ذمٍّ ومدحٍ. فالجملةُ فذلكةٌ للكلامِ، وتحصيلٌ له، وتحذيرٌ من مُواقَعة سببِه[2].

الغرَضُ من التَّشبيهِ في ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾:

مُقارنةٌ بين حالَيْ فريقِ أهلِ الكفرِ وفريقِ أهلِ الإيمانِ

إنَّ حالةَ الفريقَين (المُشركين والمؤمنين) تشبهُ حالَ (الأعمَى الأصمّ) من جهةٍ وحالَ (البصيرِ السّميع) منَ الجهةِ الأخرى، فالكلامُ تشبيهٌ وليس استعارةً لوجود كافِ التّشبيه، وهو أيضًا تشبيهٌ مفردٌ لا مركّبٌ[3]، فكلُّ فريق شُبّه بشيئَين، أو شبِّه بمَن جمعَ بين الشّيئَين، فالكافرُ شُبِّه بمَن جمع بين العمَى والصّمم، والمؤمنُ شُبِّه بمَن جمعَ بين السّمعِ والبصرِ[4]، فهناكَ تَشبيهانِ[5]، أو تمثيلٌ بمثالَين[6] حيث شبَّه الله سُبحانه حالَ فريق الكفّارِ في عدمِ الانتفاعِ بالنّظر في دلائلِ وَحدانيته الواضحةِ من مخلوقاته بحالِ الأعمَى، وشبّهَهُم في عدمِ الانتفاعِ بأدلّة القرآنِ بحالِ مَن هو أصمُّ. وشبَّه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/376، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 7/187.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/40.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/40.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 2/558.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/235.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/198.

اللّه ﷻ حالَ فريق المؤمنين في ضدِّ ذلك بحالِ مَن كان سليمَ البصر، سليمَ السّمع؛ فهو في هدًى ويقينٍ من مُدركاتِه[1]، فجعل فريقَ الغَوايةِ كالأعمَى الذي لا يُبصرُ والأصمِّ الذي لا يسمعُ، وفريقَ الهدايةِ كالبصيرِ الذي أُوتيَ حدّةً في البصرِ حتى كان بصيرًا يرى الأشياءَ والحقائقَ، والسّميعِ الذي أُرْهِفَ سمْعُه حتى صار يسمعُ دبيبَ النّمل[2].

دَلالةُ الواوِ في ﴿وَٱلۡأَصَمِّ﴾ و﴿وَٱلسَّمِيعِۚ﴾:

الاستبصارُ سبيلُ الإيمانِ، والإدبارُ سبيلُ الكفرانِ

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَصَمِّ﴾ وفي قوله: ﴿وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ لعطْفِ الصّفة على الصّفة[3]، فلمّا كانتِ الواوُ لعطف الصّفات؛ تبيّن أنَّ هذا تمثيلٌ للمؤمنين بمثالٍ واحدٍ، وهو من جمَعَ بين السّمع والبصرِ، وتمثيلٌ للكفّار بمثالٍ واحدٍ وهو من جمَعَ بين العَمى والصّمم[4]. وقد يَظنُّ النّاظرُ أنَّ المناسبَ تركُ عطْفِ صفةِ الأصمِّ على صفةِ الأعمى، كما لم يُعطفْ نظيراهُما في قوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ في سورة [البقرة: 18] ظنًّا بأنَّ موردَ الآيتَين سواءٌ في أنَّ المرادَ تشبيهُ مَن جمَعوا بين الصّفتَين، وذلك أحدُ وجهَين ذكرَهما صاحبُ (الكشّاف). وقد أجاب أصحابُ حواشي (الكشاف) بأنَّ العطفَ مبنيٌّ على تنزيل تغايُرِ الصّفات منزلةَ تغايُرِ الذّواتِ. ولم يَذكروا لهذا التّنزيلِ نُكتةً، ولعلَّهم أرادوا أنه مجرَّدُ استعمالٍ في الكلام، الدّاعي إلى عطْفِ صفةِ الأصمّ على صفة الأعمَى أنّه ملحوظٌ فيه أنّ لفريق الكفّارِ حالَيْن كلٌّ حالٍ منهما جديرٌ بتشبيهِه بصفةٍ من تَيْنِكَ الصّفتَين على حدةٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/40.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3695.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/198.
(4) ابن جُزَيّ، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/368.

الغرَضُ من اللّفِّ والنَّشرِ في ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾:

الكافرُ أعمَى عنِ الحقِّ أصمُّ عنِ الرّشادِ، والمؤمنُ بصيرٌ بحُججِ اللهِ سميعٌ لداعيهِ

الكلامُ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ من باب اللّفِّ والنّشر، واللّفُّ إمَّا تقديريٌّ إن اعتُبرَ في الفريقين؛ لأنّه في قوّة الكافرين والمؤمنين، أو تحقيقيٌّ إن اعتُبر فيما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ الآية، وقولُه سُبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ الآية، وأمرُ النّشر ظاهرٌ[1] فإنَّ الكافرَ ذُكرَ فيما قبلُ أوّلًا ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ أي: العامِّ العمَى في بصره وبصيرته، ﴿وَٱلۡأَصَمِّ﴾ في سمْعِه كذلك، فهذا للكافرين. ﴿وَٱلۡبَصِيرِ﴾ بعينِه وقلبِه، ﴿وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ على أتمِّ أحوالِهما، وهذا للمؤمنين[2]. والواوُ في قولِه: ﴿وَٱلۡبَصِيرِ﴾ لعطْفِ التّشبيهِ الثّاني على الأوّل، وهو النّشرُ بعد اللّفِّ؛ فهي لعطْفِ أحدِ الفريقَين على الآخرِ، والعطفُ بها للتّقسيمِ والقرينةُ واضحةٌ[3].

الغرضُ من الطّباقِ في الآية:

الكفرُ عَمًى عنِ الحقِّ وصممٌ عنِ الرّشادِ، والإيمانُ إبصارٌ واستجابةٌ لداعي الله

في قوله تعالى: ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ محسِّنُ الطّباقِ بين الأعمى والبصير، وبين الأصمِّ والسّميع[4]، وفيه مقابلةٌ بين الأعمى والأصم وبين البصير والسّميع؛ لتأكيدِ المفارقةِ وتوضيحِ التّبايُنِ بين الفريقَين الكافرِ والمؤمنِ؛ فالكافرُ أعمَى عن وجهِ الحقِّ في الدّنيا، وفي الآخرةِ لا يَهتدي إلى خيرٍ ولا يعرفُه، أصمُّ عن سماعِ الحُجج، فلا يسمعُ ما ينتفعُ به، ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال: 23]. أمَّا المؤمنُ ففطِنٌ ذكيٌّ لبيبٌ، بصيرٌ بالحقِّ، يُفرِّقُ بينه وبين الباطل؛ فيتَّبعُ الخيرَ ويتركُ الشّرَّ، سميعٌ للحُجَّة، يفرّقُ بينها وبين الشُّبهةِ؛ فلا يَرُوجُ عليه باطلٌ[5].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/235.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/264.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/41.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/235.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/273.

لطائف الترتيب في الآية:

الكافرُ أعمَى وأصمُّ لِتعاميه عن آياتِ الله، أمَّا المؤمنُ فبَصيرٌ سميعٌ

في قوله تعالى: ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾: جاء ترتيبُ الحالَين المُشبَّهِ بهما في الذِّكر على ترتيب ذِكر الفريقين فيما تقدَّم، وهذا التّرتيبُ المناسبُ يُنبئُ بالمرادِ من كلِّ فريقٍ على طريقة النّشر المرتَّب - والتّرتيبُ في اللّفِّ والنّشر هو الأصلُ والغالبُ - وقد عُلمَ أنَّ المشبَّهين بالأعمى والأصمِّ هم الفريقُ المقُولُ فيهم: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾[1].

فإنَّه سُبحانه لمَّا ذكر الكفّارَ، ووصَفَهم بأنَّهم ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ ثم ذكَرَ المؤمنين، ووصَفَهم بالإيمان والعملِ الصّالحِ والإخباتِ إلى ربّهم، فوصَفَهم بعبوديّةِ الظّاهرِ والباطنِ؛ جعل أحدَ الفريقَين كالأعمى والأصمِّ من حيث كان قلبُه أعمَى عن رؤية الحقِّ أصَمَّ عن سماعِه، والفريقَ الآخرَ بصيرَ القلب سميعَه[2].

الغرضُ من كمالِ الانقطاعِ في ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾:

لا يَستوي فريقُ الكفرِ وفريقُ الإيمانِ أبدًا

وقعتْ جملةُ ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ موقعَ التّعليلِ للتّشبيه، وهو نفيُ استواءِ حالِهما، ونفيُ الاستواء كنايةٌ عنِ التّفضيلِ، والمفضَّلُ منهما معلومٌ منَ المقام، أيْ: معلومٌ تفضيلُ الفريقِ الممثَّل بالسّميع والبصير على الفريق المُمثَّلِ بالأعمى والأصمِّ[3].

الغرض من الاستفهامِ في ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾:

الكفرُ والإيمانُ لا يَستَويان

الاستفهامُ في قولِه: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ للإنكار[4]، والتّوبيخ[5]؛ فهو ممَّا يُتوقَّعُ جوابُه بالنّفي[6]. وهذا الاستفهامُ الإنكاريُّ مذكِّرٌ - على ما قيل - لِما سبَقَ من إنكارِ المُماثلةِ في قولِه سُبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/40.
(2) ابن القيم، التفسير القيم، ص: 324.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/335.
(6) السامرائي، معاني النحو: 4/249.

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية[1]. وقد قال أبو عبيدة: ﴿هَلۡ﴾ هاهنا بمعنى الإيجابِ، لا بمعنى الاستفهامِ، والمعنى: لا يَستويان[2].

والمعنى: كما أنَّ مثَلَيْ هذَين الفريقَين لا يَستويان عندكم أيُّها النّاسُ، فإنَّ حالَ الكافرِ والمؤمنِ كذلك لا يَستويان عندَ الله[3] وقال الفرّاءُ: لم يقُل (هل يستوون)؛ لأنَّ الأعمَى والأصمَّ في حيّزٍ كأنَّهما واحدٌ؛ لأنَّهما من وصْفِ الكافر، والبصيرُ والسّميع في حيّزٍ كأنَّهما واحدٌ، لأنّهما من وصْفِ المؤمنِ[4].

تنوُّعُ موقعِ ﴿مَثَلًا﴾ ودَلالتُه:

حـــالُ الـكـافـرِ وحـالُ المؤمنِ لا يَستَويان

معنى ﴿مَثَلًا﴾ أي: حالًا، وصفةً[5]، وتشبيهًا[6]. وهو منصوبٌ على التّمييزِ، من فاعلِ يَستويان[7]، والأصلُ: هل يَستوي مثلاهُما[8]. ويجوزُ أن يكونَ حالًا[9]، وفيه بُعد[10]، والمعنى: لا يستوي الفريقان تمثيلًا أو صفةً أو حالًا، بل يفترقان ويكونان بما يتَّفقُ مع حالِ كلٍّ منهما، فالأعمى الذي لا يرى حتى يعرفَ الطّريقَ، والأصمُّ الذي لا يسمعُ الهادِيَ الذي يُرشدُه؛ فهو يتردّى في المَهاوي غيرَ رشيدٍ ولا مُسترشدٍ. والبصيرُ الذي يرى أعلامَ سبيلِ الله تعالى وهو السّميعُ الذي يسمعُ المرشدَ الهاديَ إلى سواء السّبيل؛ لا بدَّ أن يسلكَ الطّريقَ الأقومَ، فلا يَستويان في الابتداء والانتهاء؛ ففريقٌ في الجنّةِ، وفريقٌ في السّعير[11].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/235، والشوكاني، فتح القدير: 2/558.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/367.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/378.
(4) البغوي، معالم التنزيل: 4/170.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/235.
(6) الزمخشري، الكشاف: 2/387.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/198.
(8) الآلوسي، روح المعاني: 6/235، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/139.
(9) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/162.
(10) الآلوسي، روح المعاني: 6/235.
(11) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3696.

الغرضُ منَ الاستفهامِ في ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

عـلاجُ العمَى والصّمِمِ يكونُ بالسَّعْيِ

قولُه: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يعني: أفلا تذكرون عدمَ استوائِهما، وأفلا ترونَ ما بينَهما منَ التّفاوُتِ الظّاهرِ الذي لا يخفَى على من له تذكُّرٌ، وعنده تفكُّرٌ وتأمُّلٌ. وصُدِّر قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالهمزة لإنكار عدمِ التّذكّرِ واستبعادِ صدورِه عنِ المخاطَبين[1].

الحديثُ عن أمْرٍ منَ البديهيّاتِ لا يحتاجُ إلى أكثرَ منَ التّذكُّر؛ فلا يقتضي تفكيرًا، ولمَّا كان المقصودُ تنبيهَ المشركين لِما هم فيه منَ الضّلالة - لعلَّهم يتداركون أمْرَهم - فرّعَ عليه بـ (الفاء) جملةَ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

سِرُّ حذْفِ المفعولِ في ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

أولـو الألبـابِ يَعتبِرون، لا يَغفَلون

ختمَ اللهُ الآيةَ الكريمةَ مُوجِّهًا القولَ إلى النّاس ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وهو استفهامٌ للتّنبيهِ والتّحريض على التّذكُّر والاعتبارِ وإنَّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصارِ[3].

وحُذفَ المفعولُ به من جملةِ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ لإفادةِ عمومِ التّذكُّرِ لأيٍّ ممَّا تقدَّم ذِكرُه.

لَطيفةٌ في تنوُّعِ القراءاتِ في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

قليلٌ منَ التّذكُّرِ يُجدي

قرأ الجمهورُ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذّال، وأصلُه (تتذكَّرون) فأُبدِلت التّاءُ ذالًا لقُربِ مخرَجَيْهما ولِيتأتَّى الإدغامُ تخفيفًا، وقرأه حفصٌ، وحمزةُ، والكسائيّ - بتخفيف الذّال - على حذفِ إحدى التّاءَين من أوّل الفعل[4] وفي التّخفيف النّاتجِ عنِ الحذفِ في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ - إدغامِ (التّاء) في الأصلِ في (الذّال)[5] - دلالةٌ على

(1) الشوكاني، فتح القدير: 2/558.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3697.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43.
(5) المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين: 1/288.

القليل منَ التّذكُّر بالقليلِ منَ الجُهد؛ فقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: يحصل لكم أدنَى تذكُّرٍ - بما أشارَ إليه الحذف - فتَعلَموا صدقَ ما وُصِفوا به بما ترونَه من أحوالِهم، وذلك ما قُدِّم في حقِّ الكفّار من قولِه: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العمَى والعَمَه والكَمَه:

كلُّ أكمَه أعمَى، وليس كلُّ أعمَى أكمَهَ

العمى: ذهابُ البصرِ كلِّه منَ العينَين كلتيْهما[2]، ويدورُ معناه المِحوريُّ حول احتجابِ الرّؤية[3]. ويقال في افتقاد البصرِ والبصيرةِ، ويقال في الأوّل: أعمَى، وفي الثّاني: أعمَى وعَمٍ، وعلى الأوّل قولُ اللّه ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61]، وعلى الثّاني ما وردَ من ذمِّ العمى في القرآن نحوَ قولِ اللّه ﷻ: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: 18]، وقوله ﷻ: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: 71][4].

أمّا العَمَه فأصلُه في العين، وهو أن يحارَ بصرُ الإنسان فلا يرى في تلك الحالة، ولكنّه كان يرى في غيرها[5]، ثم استُعمِل مجازًا في التّحيُّر والتّردُّد في الرَّأي، وفلانٌ يعمَهُ في أمره: يتحيَّرُ فيه[6]. والعَمَه: التردُّدُ في الضّلالة، والتّحيُّرُ في منازعةٍ أو طريقٍ، والعامِه: الذي يتردَّدُ متحيِّرًا لا يَهتدي لطريقِه ومذهبِه[7]. ويقال: رجلٌ عامِهٌ وعَمِهٌ: حائرٌ متردِّد[8]. قال اللّه ﷻ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/264.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عمى).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عمى).
(4) الرّاغب، المفردات: (عمى).
(5) ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 52.
(6) ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس: 2/37، ومحمد الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص: 176.
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عمه).
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/209.

﴿١٥﴾ [البقرة: 15]؛ أي: في كفرِهم وضلالِهم يتردَّدون متحيِّرين[1]. وقدِ اقترن الفعلُ (يعمهون) بالطّغيان في خمس آياتٍ، وبالسَّكرةِ في آية وبالتّزيين في الآية الباقية؛ ممّا يدلُّ على فقد العَمِه التبصُّرَ والتنبُّهَ[2].

والفرقُ بين العَمَى والعَمَه أنَّ العمى عامٌّ في البصرِ والرّأي، والعمَه في الرّأي خاصّةً، والعمه يقال في عمى البصيرة الذي محلُّه القلبُ، أمّا العمَى فيقال في عمى العينِ والقلبِ، قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: 46]؛ ذلك في عمى البصيرة، وقال ﷻ في عمَى البصر: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾ [عبس: 1 - 2][3].

أمّا الكمَه فهو أن يعتريَ البصرَ ظُلمةٌ تطمسُ عليه، وهو العمى الذي يولَد به الإنسانُ[4]، والأكمه: الذي يولَد مطموسَ العين، أوِ الذي يولَد أعمى[5].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/209، والبغوي، تفسير البغوي: 1/68.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عمه).
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/69، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/311، والأزهري، تهذيب اللغة: (عمه)، ومحمد الدّوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص: 176.
(4) ابن سيده، المخصص: 1/102، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (كمه).
(5) الجوهري، الصحاح، والأزهري، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كمه).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»